شعر

ابـْنُ الوَقْت..

شعر

ابْنُ الوَقْت..

للشاعر / الضوي محمدالضوي

الإخراج الداخلي : إسلام الحماقي

تصميم الغلاف : سارة عابدين

مدير النشر: أحمد خطاب

رقم الإيداع: 23417 - 2017

الترقيم الدولى: 978-977-6598-23-2

الطبعة الأولى: 2017

إشراف عام : أحمد عبد الجواد

مؤسسة عابر للنشر والتوزيع

01007677910 - 01111883712

3aberorg@gmail.com

www.3aber.org

عابر 3aber

جميع الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

شعر

ابْـنُ الوَقْت..

الضوي محمدالضوي

وألطفُ ما في الحبِّ ما وجدته، وهو أن تجدَ عشقًا مُفْرِطًا، وهوىً وشوقًا مُقْلِقًا، وغرامًا ونحولًا، وامتناعَ نومٍ ولذةٍ بطعام، ولا تدري فيمن ولا بمن! ولا يتعين لك محبوبك..

الشيخ الأكبر - محي الدين بن عربي

هكذا تكلمتُ

أودُّ أنْ أحكيَ ولا طاقةَ لي،
في قطار الموت الذي يركبُهُ الشاعرُ..
يقسم أنه سيعود منه قابضًا على اللحظةِ الفارقةِ
اللحظة التي التمعَ فيها الخوف بقلْبِهِ مثلَ فأرٍ أبيضَ
مثل ارتواءِ صائمٍ
وقبلةِ عائدٍ، وصَهْلَةِ فَرَسٍ
يقسمُ ويقسمُ
ولا يكتبُ وهو في زهوِ الخوفِ،
القطارُ يصعدُ ويهبطُ، وهو لا يريدُ للرحلةِ أنْ تنتهي،
بالأحرى؛ يخافُ أن تنتهي،
فلا يجدُ منها؛ إلا الكتابةَ، والحكيَ،
هذا هو.. هذا فقط!

الشاردة

الذئبُ لا يأكلُ من الغنمِ إلا الشاردة»

...

غير أني أعرفُ غنمةً شردت

فدلّت أخواتها على بئرٍ وَجَدَتْها صُدفةً

...

أعرف أخرى، لمّا شردت نسيت لغة الأغنام

وصارت تموء كالقطط، وتجأر كالذئاب المجاريح

احترمَها ذئبٌ لأنها شردتْ،

ولم تخف،

لأنها فهمتْ أن الحياةَ احتمالاتٌ كثيرة

مشوّقة، ومؤلمة، وقاتلة

والحياة في القطيع، قاتلةٌ فقط

أعرفُ أخرى، لما سمعت أن الشاردة ستُؤكل

قالت: الفارق، أنّ الشاردة سيأكلها الذئب بدمائها، دون إهانةٍ

أمّا اللواتي في القطيع، فإن صاحبَ القطيع سيسلخهنّ؛

الصوف للبرد، والعظام للكلاب، واللحم له، مشويًّا لساعات طويلة
يدور ويدور، والجمر أسفله، ينخر فيه كسوسةٍ في غصنٍ يَهْوِي..
الشاردة مُجْتَمِعَةً ستكون في بطنِ ذئبٍ، أو اثنين على الأكثر..
الشاردةُ، تعرف أكثر
تعرفُ وتختارُ
أعرف واحدةً شاردة
تكتب الآن، هذه القصيدة..

الغرفة الأولى:

هل يعجبكِ ما أكتب..؟

أفقدُ كلَّ لذةٍ للكتابةِ، فلا أنا طرفة بن العَبْدِ ولا لُورْكا، لا أنتظرُ نوبلَ، ولا أصيرُ الأكثرَ مبيعًا، لا يُرَدِّدُ المجاذيبُ أبياتي هائمينَ سَكَارَى، ولا تُرْسِلُ حبيبةٌ لِحَبِيبِها خِطَابًا مُفْعَمًا بِكَلِمَاتِي عن الحبِّ والبيت والحريةِ، لا يُفَاجَأ رجلٌ فقيرٌ بقصيدَتِي منشورةً في صفحةِ جريدةٍ يوميَّة، يأكلُ ما حوتْهُ من الأرغفةِ الرخيصةِ.. ويتعجّب للطعامِ الذي بنكهةِ الفقْدِ..

لن يبتهلَ عابدٌ على قمّةِ جبلٍ ببكائيّاتِي الحارّة، ولن تحكيَ أُمٌّ لابْنَتِهَا في بلادٍ باردةٍ قصتيَ معَ أميرةٍ بشَعْرٍ مُذَهّبٍ، لنْ يقرأَ طالبٌ راسبٌ في الرياضياتِ قصَّتِي مع الكتابةِ، فيقرِّر أنْ يكونَ كاتبًا..

فقدتُ كلَّ لذةٍ للكتابةِ وكلَّ أملٍ من ورائِهَا.. أنا لا أكتبُ بديلاً عن الانتحارِ كما يزعمُ البائسونَ، أنا أنتحرُ يوميًّا فعلاً، وليست الكتابةُ عادةً سِرِّيَةً؛ لتخفِّفَ التوتّرَ، أو تُفَخِّمَ الوَهْمَ، أنا أكتبُ.. وغايةُ ما أتمنَّاهُ.. أنْ يعْجبَكِ ما أكتبُ.. هذا ما في الأمرِ.. كلُّ ما في الأمرِ، حتَّى لو ظننتِ أو ظنُّوا شيئًا آخرَ يا حَبِيبَتِي..

***

أنتِ الطريق..

في الصباحِ البعيدِ.. هل كان بإمكان سمكةٍ أن تكونَ جناحَ مركبةٍ؟ هل كان بإمكانها أن تصير جُرْحًا في رقبةِ وحشٍ كاسرٍ؟ عناقًا غامرًا بلا مبرراتٍ؟ هل كان بإمكانِ شاعر أن يصير مُحرِّكا في طبقٍ طائرٍ، وساحرًا طيِّبًا لا مقشّة له أو قبعة ليصدقه الناسُ، هل كان بإمكانه أن يصيرَ نجمةً، أو مِعْوَلًا يهذِّبُ نجمةً؟ هل كان بإمكان راهبٍ مُقْفِرٍ أن يصير حقلَ شَعِيرٍ، وعدوى ضحكٍ؟ هل كان بإمكان قصيدةٍ أن تكون أبًا وأما ووَخْزًا وحمامةً؟ أو بإمكان حبيبةٍ أن تصير شعورا عاريًا من كلِّ مواربةٍ، شعورا كالذي يسري في الجسد جرّاء احتضان الأسلاك العارية؟ في الصباحِ البعيد هل كانَ ينقصُ الرحلةَ وضوحٌ أو هدفٌ، قبلاتُ وداعٍ، أو زغاريدُ وصول؟ لم يكن ينقصُ الرحلة في صباحٍ بعيدٍ سوى الطريقِ.. كنتِ أنتِ الطريق.

***

تصنعين له كوفيَّة

تصنعين له كوفيَّةً
هذه الكوفية
هي الزورق..
وأنتِ تصنعين الزورق
انتبهي لاحتمال الغرق
ستفارق أناملُه حوافَ الألواح
باتجاه العمق المظلم
في رهافةٍ شديدةٍ
كما لو كان راقصَ باليه
تخيلي شكل جمجمتِهِ مستقرّةً في القاع
مليئة بالطحالب
وبالسمك الصغير الملوّن
بالعملات التي سيلقيها العشّاقُ هاهنا
وبالرسائل التي ستغرق يوميًّا
لأن مرسليها ليس لديهم زوارق
تحملهم إلى أحبتهم

ولأنهم أيضا، بالطيبة التي تجعلهم
يصدِّقون البحر..

هذه الكوفية
هي الشجرة
وأنتِ تصنعين الشجرة..
اتركي جذورَها في روحكِ
بالجذور فقط سيستظل..
امنحيه خضارًا أوَّلُه في عينيكِ
وهو سيصدّق أنّ هذا هو الكلوروفيل
لكِ تمام الحق في أن تشترطي عليه
أن يترك متسعًا من شجرتِه لاستقرار العصافير
تبني أعشاشها و تزقطط..
لاحظي أن هذا معناه
أن تترك فضلاتِها يوميًّا على كتفيه
دون أن يتنبّأ بكسوةٍ جديدة..

الجميلات سيفتحن شرفاتٍ في أحلامهنَّ
تطلُّ على الشجرة..

وهو بالتالي سيصبحُ ضيفا دائما على صباحاتهم
دون أن يخجله هذا..

هذه الكوفية
هي القمر..
وأنتِ تصنعين القمر
هذا الرغيف الأبيض
اطحني الدقيق جيدا
ضعي كل حفنةٍ جوارَ أختها
وانتبهي لأنينها..
وقد كانت سنابلَ
انتبهي لحسرةِ السنابل..
وابكِ لو شئتِ..
بعدها..
ضعي الرغيف حولَ رقبتِهِ وعلى كتفيه
وهو سيأخذ طريقَهُ إلى ضحايا المجاعات
سيكون سانتا كلوز الذي يتمنّونه..
والذي يزورهم..
في كل حلمٍ بلقمة

وفي كل حسرة ببئر
سيقف بينهم
وهم يأكلونه
ويبتسم..

***

عامل المحجر..

لا أعرف لماذا صار دورُ المحبِّ صغيرًا عليّ؟ أصغر مما ينبغي تجاهكِ.. إنه يحتاج إلى مُحِبَّةٍ في المقابل، يعتبر أن ما تمنحينَهُ له يجب عليكِ منْحُه.. ولا يكفي أن يكون لأنكِ تحبين هذا، هذا أقلُّ مما يليق، جديرٌ بي أن أكونَ صاحبَ دورٍ أكثر فخامة، كأن أكونَ عاملا في محجرٍ، وأنا الأسمر ضخم الجثة، فقط عاملا في محجر، يجرُّ مع رفاقه عربةً تحمل مزيدا من الأحجار التي تزن عشرات الأطنان.. ينقلونها إلى منطقةٍ قبالة قصركِ، ويشيدون مبنى جميلًا على شكل وردة، أو سبيل ماء، أو مرصد فلكيّ تعددين منهُ نجومًا تعرفينَ أنها تحبُّكِ، حتى إذا استقيظتِ في الظهيرةِ، نظرتِ إليه مشيَّدًا ومحكمًا وفخيمًا، فاستدعى هذا شيئا من فرحتكِ الطفولية، سينقلون إلينا الخبر ونحن نحتسي شاي العصريّة، هنا في محجرنا المشمس، وقد تراخينا نلتقط أنفاسَ المحبة، ويقطر من جباهنا عرقٌ وددنا لو احتفظنا به في قوارير، لأنّا بذلناه من أجلكِ، فقط من أجلكِ، سيُقَالُ لنا: لقد فرحتْ بما فعلتم.. سأبتسمُ مثلهم جميعا، لكنني وحدي من سيبتسم قلبُه على اتساع العالم، العالم الذي تنيرينه يا حبيبتي..

***

على كتفيكِ ينام..

وكما يبسطُ نبيٌّ رداءه
للتائبين ومصابي الحروب..
وينابيع المياه الوحيدة
في الصحاري التي لا يزورها أحد
تبسطين ضحكتَكِ من هناك.. هناك
وتجلسينني في منتصفها
تبسطينها..
فيخلع الصبيُّ
صوتَ الأشباحِ من على كتفيه
يخلع عدّة الحرب..
ويخلع المصابيح المطفأة التي كانت تكلمه في سنوات بعيدة
هذه التي كان يضطر إلى إشعالها لأنها تصمت عندما تشتعل..
هل كانت المصابيح بالقسوة التي تجعلها
تفرّغ طاقة غضبها من كثرة الاشتعال..
بأن تخوّفَ هذا الصغير الوحيد في أوقات فراغها المؤلم..؟
يخلعُ العصافيرَ التي ماتت على يديه أو بترتيب منه

لأنه كان وحيدا والعصافير ذوو إخوَةٍ وونسٍ وخضار
يخلع خوفه من صفعاتٍ مفاجئةٍ
وركضٍ لا يعين على الهروب..
خوفَه من زجاجٍ في طمي النيل.. يجرح الأقدامَ
وموجٍ نائم بأقدام الصبايا..يجرح القلوب
يومٍ مضى و يومٍ سيأتي
وكما يبسط نبيٌّ رداءَه
تبسطين كلامَكِ
والأغاني
وعلي كتفيكِ ينام..

***

ابتهجي أرجوكِ..

انظري لهذا العالم.. إنه يغفو ويتعرَّى ويشرب وينوح ويهدأ..

يفتل القماشةَ الواسعةَ ويطرّز أهدابَها بسهولة..

انظري..

إنه لا ينتظرنا حتى نلحقَ به

أو نشاركَهُ في مطاردةِ العصافيرِ والسلاحفِ وأسرابِ الحيتان..

إنه يعلّقنا من قدمينا كما لو كنّا فأرين

ونحن لأننا لا نراه، ولا نرى خيط الدماء الذي يتدلّى من فمهِ..

نظنُّها الظروف القاسية.. والأيام الموقوتة..

حاولي ببطء فعل ما سأفعله:

سأمدُّ يديّ فأمسكُ وِرْكَيَّ ثم ركبتيّ ثم سمانتي وأصابعي..

متقوسًا كجنين.. سأفاجئه وأعتدلُ وأقفُ على يدِهِ..

وبضربةٍ واحدةٍ سأفقأُ عينَهُ، افعلي مثلي

وافقأي الأخرى

سيصرخ قليلا..

لكنه سيحتاجُ لنا لنقودَهُ ..

هذا الأعمى يعرف أننا أقرب إلى روحه..

وأكثر وفاءً له بالرغم من كل ما فعلَ..

نحن نقودُ العالمَ الآن يا صديقتي..

ابتهجي أرجوكِ..

***

حتى لو كانت حلوة

بطّةٌ وبطتان تمر..
وأنا أتنكّر في زي قوس قُزَح
أزيّن واجهات المحلاتِ
وفساتين الطفلات
وأبخرة المدافئ
والأقلام والألوان
وعناقيد السكّر
وأشعلُ ذكرى مصافحتكِ الحلوة..
وأنتظر..

بطةٌ وبطّتان تمرُّ..
وأنا أنشغل بإعداد شِبَاكي
وأشحذُ نظرتي
وأترك خدّي للهواء
يمنحني قبلتَه

ويشعلُ شمعتي

فأغنّي..

بطّةٌ وبطتان تمرُّ..

والحواديت كثيرةٌ أحكيها

وأنتِ لا تأتين مع النهايات المُعْتادةِ..

حتى لو كانت حلوة..

***

لا ألوان في غيابكِ..

جَرِّبِي يا حبيبَتِي أن تغيِّبي النورَ
وكلميني عن الألوانِ
عن الأخضر
وقناديلِهِ التي تطفو رَشِيقَةً مثلَ دمعةٍ على خدٍّ مبتسمٍ..
عن الأحمرِ الذي لم يكنْ أحمرَ
وصلّتْ على غصونِهِ كلُّ الحماماتِ في جامعِ الحاكمِ..
عن الأرجوانيِّ الذي خافتْهُ البنادقُ، وغدرَ بهِ النزيفُ الداخليّ..
وعن الورديِّ.. الذي طرزناه في شجرِ الغربة
وصدّقنا رسائلَهُ
أطفئي النورَ..
وحدِّثيني عن الألوانِ
لا ألوان في غيابكِ
فقط شجرٌ أسودُ..

في بُحَّةٍ مُنْكَسِرَةٍ

فقط قطّةٌ سوداءُ

بعينينِ لا تلمعانِ..

***

الغرفة الثانية:

لا تسرف في متابعة الألوان..

تعال أحدثُكَ عن الهزيمةِ
عن حدائقِ الهزيمة
ابتنِ سورًا خلفَكَ حتى لا يتسربَ الصخبُ والزيفُ والفرحةُ غيرُ المبررة
هنا في كلِّ شبرٍ كسرٌ وفي كلِّ جبهةٍ علامة
نحتفظُ بالوردِ فقط لنتابعَهُ وهو يتكسَّرُ
بعدما صارَ جافًّا
وصالحًا لأن تحملَهُ الريحُ..
الريح التي تخرجُ من الفمِ
مع قولِ: إلى لقاء
أو قول: اعزفْ مرةً أخرى..
اللحنُ هذه المرةُ أقلُّ جرحًا

هل ترى هذه الفراشات؟ لا..لا تلمسْها
إنها ليستْ فراشات
سأخبرك بحقيقتها لاحقا
لكن اكتم أنفاسك وأنت تسير إلى جوارها

ولا تسرف في متابعة الألوان
انظر!.. أيروقك هذا الذي حدث ؟!
قلت لك لا تسرفْ في متابعةِ الألوان
هكذا انفجرَ الأحمرُ في وجوهِنا فكسَانَا بالدمِ
انفضْ ثيابَكَ ما استطعتَ من الدماء
واتبعْني..

***

لا أعرف..

أنا لا أعرف كيف أحب، وأن تكتشف هذا في وقت متأخّر، يعني أن تكتشفَ أنك نائم في مكان مغلق، بحضنِ ذئبٍ أحمر، أو أن الذي شربته لم يكن حبةً مهدِّئةً، وإنما كان شيئًا سيجفف قلبك ويحوله إلى هراوةٍ لضرب الخراف الضالة، أو طاولة لتقطيع لحومها وتكسير عظامها، المؤسف ليس هذا أيضا، فربما أحببتُ نفسي، في الوقت الذي ظننتُ فيه أني أحب آخرين وأغمرهم بما يجعلهم سعداء، وأنهم هم من أخطأوا محبتي، المؤسف أني أيضا لم أحب نفسي، فيمَ أهدرتُ كلَّ هذا إذن؟ وأنا أتدفق مثل نهرٍ، يحافظ على مقدار عذوبته ما استطاع؛ ليصبّ أخيرا بالمكان الأكثر ملوحةً! بلا جدوى وبلا هدف أو طائل، أنا النهر الذي عكّر على الجميع شربَهم منه، ثم لم ينتفع بشيء مما حفظه، إنه في المكان الأكثر ملوحة الآن.. حيث عرف أنه لا يعرف كيف يحب!

***

يغلقون عليه الجُحْرَ وينامون..

غدا سيعود وحيدا.. وقد خاض كل الحروب.. وكُسِرَتْ ساقُه.. وابيضَّت رأسُه من الفاجعات والغربة، سيعود بضحك أقل وذكريات أكثر، بنساء أقل ومذابح أكثر، وتحت جذع شجرة سيشكو إلى الريح وإلى الصِّبْيَةِ الذين سيتخيّلُ التفافهم حوله، كيف كان يُضْحِكُ الفحمَ في المناجم، ويصعد بالحجارة الطيبة إلى أعالي المباني، حيث تمنّت، كيف كان يدقُّ على كعب البندقية «انت عمري» قبل كل حرب محتملة، وكيف أشعل النار في ملابسه البالية ذات ليلة من ليالي الشتاء، وقبل موته بثوانٍ معدودة، قبل نجاته من هذا الموت تحديدا، كيف كان يتناسى الجراح العميقة في جبهته وقلبه، وكيف كان يخرج صورتَكِ في الظلام، ويحكي لها ذكرياته مع الفرس والكمنجة، وهو الذي ما امتلك يوما فرسًا ولا كمنجة، سيحكي للأطفال ويحكي، بينما يحمله النمل على ظهوره إلى جُحْرٍ عتيق، يغلّقُونَ عليه الجحر، وينامون..

***

أثق بنفسي

مثلما تثقُ
مركبةٌ عجوز
بالنجاةِ من العاصفةِ
وقد تدافعَ الموجُ إليها
كما تتدافع الذئابُ
على غزالٍ..
شاردٍ و جريح..

***

ماذا إذن ؟!

يا هذا العالم.. هل ترى في مثلي شيئا يستحق البقاء والمواصلة..
الألم أوسع من إدراكنا له.. والبهجة أخف من عطر رخيص..
القريبون أبعد من مصافحة ووداع..
والبعيدون أدنى من جمرة في القلب
ماذا إذن أيها العالم؟!
ماذا ؟!

***

لأطمئنَّ..

أعود إلى ها هنا لأطمئن عليكِ.. أنتِ أنتِ
والماء في الصنابير والورود في الأكفِّ والندى في خديكِ
خداكِ على حمرتهما لا يوهنهما البعد الكادحُ
ولا تجرحهما الشمس التي تركتُها ترعى دون سؤالٍ
اللصوصُ على أملٍ في توبةٍ..لو لوّحتِ لأرواحهم بالصباحِ
والمباني على رغبةٍ أكيدةٍ..
في أن تصيرَ ورقًا وأمواجًا ونوارسَ
وأنا على ما أنا عليه من السوءِ؛
لأنِّي لا أقول أحبّكِ كل صباحٍ كما أريدُ
ولا أؤنس صياحَكِ بحضنٍ وارفٍ، وحكايةٍ مسليةٍ كما اعتدتُ
أعودُ إلى ها هنا..
لأطمئن عليكِ
على غيابِكِ
أطمئن على موتي يا حبيبتي

***

عضَّهُ في قلبه..

حسنًا
سأقول ما يُرضِي غرورَكِ أيتها الوَحْشَة
أحسنتِ بامتياز
أنا مخدوعٌ الآن
بكل معنى الكلمة
حضنتُكِ وأنا معافىً تماما
حضنتُكِ كالذي حضنَ ثعبانًا صغيرًا ومُتَجَمِّدًا
وَجَدَهُ في الطريقِ إلى البيتِ
حملَهُ في جيبٍ داخليٍّ.. بجوار القلبِ
ولمّا استدفأ الثعبانُ
عضَّه في قلبِه..

***

القبح..

لمْ أعدْ أستطيعُ أنْ أراني
وجهي يشبه جرحًا عميقا خَلَّفَتْهُ معركةٌ خاسرة
الطفلُ الذي جَلَدَهُ أبوهُ فجرَى فوق الزجاج المكسور
لينجوَ من الجَلْدِ، أو من طفولَتِه التي تحترقُ كنجمة
كلما لامستْ عشبًا ميتا
هو ذاته الطفلُ الذي وعد جميعَ أصدقائه بالطفو
إن حضنته حبيبتُه مرةً أخرى
مرة أخرى تكفي لأن تسير مركبته الورقية بسلام
وهي تحمل ثمانية وعشرين طفلا يحييون داخله
إلى برٍ آمن.. وحَمَامٍ وقطيفة
وإلى نجوم رصّعت شَعْرَ من يحبُّ
ولن تسقط لترجمَ الشياطين
حتى لو كانت الشياطينُ
وحدَها هي من تعرفُ الحقيقة..!

***

إلى القلب..

الشم يتقدّم
السمع يتأخر
الحزن ينمو
مثل نهرٍ
وضرعٍ وشجرة
يتكاثف..
مثل فراء دبٍّ بالغٍ
ويتضاعف
مثل ورمٍ خبيث
يتهدّل مثل ذراع مُسِنّةٍ بدينة
ويفوح مثل رائحة المقابر الجماعية
يهدرُ مثل مصابي الحُمى

هكذا كانت شكواه
والطبيب لم يرد بشيء
فقط،
أشار إلى القلب..

***

سببا يجعل الرقصة أجمل ؟!

أحزاننا لا حد لها، ولا أعمق منها، كأنها بحر، بحر دافئ تحت جليد صلد، الجليد تتدحرج عليه كرات الثلج، ويرقص فوقه الأصدقاء الطيبون والعجائز وهن يجمعن التوت، ترقص الوعول والدببة، والماء من الأسفل يهدر بالدفء، يهدر بالدماء والذكريات والقطع الآدمية التي تتدافع بقوة التشنجات.. بقوة الذي يحاول الخلاص من الغرق، على أصوات الموسيقى التي في الأعلى، امنحيني إذن سببا واحدا، سببا فريدا، يجعل الرقصة أجمل!

***

«تُذْكُرْ آخِرْ مَرَّة»

ماذا ستستفيدين
وأنتِ تصدحين بما تصدحين به
في حضرة منتحر ؟!
ألم يطفئ التلفاز
والراديو
ويكسّر الكاسيت
ويحكم غلق الشبابيك؟!
من أين يأتي صوتك إذن يا ست ؟!
واحدة أخرى مكانك..
كانت وَلْوَلَتْ وشقّت حنجرتَها بين جبلين
على هذا الذي أهدر عمره في غناء ما تغنينه
وفي الدفاع المرير عنها.. ضد ما يَدَّعِيهِ العالم
ضد السقوط من الأدوار العلوية بلا مبرر
ضد أن يأكل جنرالٌ من دم مجنديه..
أو شاعر من دم قصيدته
أو أن يقتل صديقٌ صديقَه

بوداعٍ مفاجئٍ.. وبلا مبرر
ضد أن يغتصب رجلٌ حبيبتَه
أو أن تغادره هي
من أجل خناقة على أجرة كوافير الزفاف
كل هذا جارح وفجّ
تخيلي
لكنكِ أكثر قسوة
وأنتِ تغنين على صوت هدير دمائه في الصالة
«تذكر آخر مرة شفتك سنتا»
هل هذا وقتُه
وقتُه ؟!

***

مرور السيارات على أصابع الرُّضّع..

صدقيني
مازال في ظهري متسع لهذه السياط المُمَلَّحَة
وهي ترقص وتتسع
حتى تستعمر العالم بأكمله
وتطلق دخانها وفوضاها
تحت إبطيّ وفي ذاكرتي
صغيرُك هذا سيشرب السجائر قريبا
قد تجدينه لا عند أقدام الحسين
كما اعتدتِ البحث عنه
لكن على عتبات ستيلا
(سينحرف!)
ساخطا على المسابح، والشحاذين، والضوضاء
والأطفال الذين يخبئون في أحزانهم "حيّرت قلبي معاك"
ساخطا على القاهرة وسكّانها
وألوانها..
وما تهب من أجنحةٍ ومقاهٍ

ساخطا على الشعر
الذي لا يعرف الفارق
بين الصور الحانية
ومرور السيارات على أصابع الرُّضّع
بين الخوف..
و السُّكَّر الذي يذوبُ في الفم
على مشارف المرض النفسي
بين الغيمات الملونة
والخَدَر الذي يلدغُ القلبَ
في العميقِ الغضّ..

***

بلا وجهة..

ظَلِّي بعيدةً
مثلَ ميناءٍ
يبتلعُ الخرائطَ والدفءَ وضوءَ الفنار
فلا يبلغُهُ القاربُ المكسور
يراقبُهُ وهو يتوهُ..
ويصفقُ له
وللوحدةِ

بعيدةً
مثلَ سمكةٍ من ذهبٍ
تملأُ الشبكةَ بالرملِ والطحالبِ
فلا يبلغُهَا الصيادُ المُقْعَدُ..

مثلَ شفاءِ جريحٍ
مات فعلاً.. بفعل الانتظارِ

ومثل سحابةٍ
في عين قطٍّ بثلاثةِ أرجلٍ
لو كانَ بأربعةٍ..
لقفزَ ناحيتها وأصابَهَا في القلبِ..

ظلي بعيدةً
ما استطعتِ
الولد الذي في الحلم
يجفُّ الآنَ بهدوءٍ
بهدوءٍ مفزعٍ
كماءٍ على حافةِ كأسٍ
وكوردةٍ ناتئةٍ في خيالٍ يابسٍ
لا أملَ لها في أن تصيرَ مع الوقتِ
قُبلةً
أو منديلًا
أو شراعًا
شراعًا ولو بلا وجهة..

***

يصف ألمَ روحهِ

يهجرُ القطُّ مكسورُ المخالبِ بيتَه النائي
في الطريق إلى المدينةِ
إلى صندوقِ قمامةٍ كبير
أو إلى شقة مفروشة لا سَادِيِّين فيها
يهجرُ ذكرياته عن الفئران التي تملأ الحقول
متذكرا أنها كلها تحفظ له ذكرياتٍ طيبة
ورقصاتٍ مسلية
تحفظ قصةَ حبِّه لِقِطَّتِهِ السمراء عن ظهر قلب
تحفظ الشوارعَ التي سارَ فيها
والشِّجَارَات التي افتَعَلها حتى ينقذَهم من مصايدَ مُحَقَّقَة
عن ظهرِ قلبٍ أيضا
يهجرُ كلَّ هذا ويرحلُ باتجاهِ المدينة
وهو بلا فراء، وبلا رقبة، وبلا عينين
جسدٌ مفكّك يجرُّ في أسنانه جثمانَها
جثمانَ السمراء.. أو هكذا ظنّ
لا شئ سوى

أن طلقة صائد الكلاب الضالة
لم تفرّق بين سواد الليل، وسواد جذعها
والسيد صاحب البناية الكبيرة التي في منتصف الحقول
لم يفرق بين متعته بصراخِ قطٍّ يُسْلَخُ حيًّا
وبين متعته بصراخ المساجين أسفلَ دارهِ الكبيرة
وكاتب هذه الكلمات لم يفرّق أيضا
بين كل هذا..
وبين نيته – وهو يخطُّ أولى هذه الجمل –
في أن يصف ألمَ روحه
روحه هو
هو فقط..

***

أبٌ لكتابين

أنا أبٌ لكتابين الآن يا رب
كتابين وعدّة أرامل
وقبائل من النمل والقطط
ومكعبات السكر
أبٌ لأخطائي واعتصار أحشائي.. وخيبتي
لِمَا أرغبُ أن أصنعه في حياةٍ لا تثمرُ أقلاما و لا أوراقا
وحبيباتٍ يغادرنني فجأة كالقنابل المدوّية
أبٌ لرحمتك التي في داخلي.. وابنٌ لها.. وموعدٌ

وأنا أَحْلقُ ذقني وأستعدُّ للذهاب إلى المطار
ردّدتُ هذا متوسلا إلى الله
كي ينقذني من خوفي المفترس
خوفي لم يكن من الموت
لكن من أن تهتز مهابتي العائلية
وأنا أشهق مع كل صعودٍ وهبوطٍ للطائرة
أمام قطيع أبنائي اللانهائي هذا !

وأطلب من الله - الذي أوهمتهم أنه صديقي -
رحمةً كالتي يطلبها المهزوم
من المنتصر
أمام ركامٍ من الأسرى
والقتلى
والعبيد..

***

ثقيلٌ أكثر مما يظن..

اخرجوا الآن من هذا الصغير
ودعوه وحيدا
هو يُوهم نفسه دائما
أنه قريبا جدًا سيجدُ خشبةً
تسرّبت من حطام سفينة
أو أنه سيُغْمَى عليهِ
ثم سيجد نفسَه - وبدون مبرر واضح -
على شاطئ جزيرة ما

رئتاه مليئتان بالخُرْدَة
وقدماه اللتان غاصتا في النار طويلا
صارتا خزفًا
خزفًا لا يصلح لمزهرية
ولا لقُلَلٍ تبلُّ الريق
فقط يصلحُ أوانيَ لطهو المشاوير
المشاوير..

هذه العقيمة التي لا تنتهي
رأسه الذي يفكّر فيكم طوال الوقت
صار كتلة من البلّور الغامق
أتعبها تتابع اللصوص على سرقتها
ستمنح نفسها لمن يشاء
لكنها الآن تصرخ:
قليلا من النوم يا أصدقائي اللصوص
أرجوكم..

وقلبه الذي جوّفته العواصف
وصيّرته واهنًا ككهفٍ
مأوىً للصوص والقتلة
والجياع المنبوذين
ثم انهدم عليهم جميعا
تماما كما فعلت الحياة معهم
انهدم عليهم مطلقًا آهةً حَرَّى
كأنه البريء من كل هذا!

هو ثقيلٌ جدا إذن
وأنتم لستم مناطيدَ ولا بالونات ولا نوافذ
أنتم أيضا تريدون من يحملكم
والقاع مظلم
ويتسع لنا جميعا.

***

دون أن أغلق الباب ورائي

أدخل إلى تدخين السيجارة
كما يدخل رجلٌ مكسورٌ
ماسورةً أو نفقًا غافيًا
ركضًا خلفَ أرنبٍ بريٍّ
متحاشيًا أن يتسرَّبَ الدخانُ إلى حنجرتي
وقد بلغت القلوبُ الحناجرَ
أحملق فيه وأصاحبه

لو لم تتذكري صُنْعَ الكوفية
التي وعدتِني بها
سوف أدخّن سيجارةً طويلة
وألتفحُ بدخانِها
وأمضي إلى أحلامك
دونَ أن أغلقَ الباب ورائي

***

تمثال السُّكّر..

أبي الرجلُ السُّكَّرُ
أورثَ كلَّ واحدٍ من إخوتي قطعةً في جسده
قطعةً من سُكَّر
تراها وهو يتعرى.. بيضاءَ شهيَّةً
وهو غاضبٌ.. سائلًا ساخنًا يلسعُ
وهو يموت.. لُزُوجَةً تلصقُ الروحَ بالأركانِ
وهي هادئةً.. هادئةً تصعدُ
أما أنا
فأنا تمثالُ السُّكَّرِ
هكذا أنجبني أبي
تمثالًا خالصًا من سُكَّر
مجانيًا ووحيدًا
يقف عليه الذبابُ
كما يقفُ عليه النحلُ
ينكسر إذا احتضنْتَهُ بشدّةٍ
ينكسرُ إذا انصرفتَ عنهُ

أو إذا طرقتَ إلى جوارِهِ
طرقةً مفاجئةً ويابسة
أبي يحبني كثيرا
وإخوتي يكرهون ذلك،
قالوا نلقيه في البئر.. سيذوب ولن يشعر به أحدٌ
لكنهم خافوا أن يتغير طعمُ الماء ويُفْتَضَح الأمرُ
قالوا نطرحه أرضًا ولن يرى أحدٌ السُّكَّرَ في الرمالِ البيضاء
لكن النملَ سيفضحُ الأمرَ أيضًا
قالوا تحبُّه واحدةٌ ويحبُّها
تقضمُهُ كلَّ ليلةٍ قضمةً
فيذبل..
مثل شمعِ الأضرحةِ يذبل
ويموت..
هو تمثال سكر سيذبل ويموتُ على أية حالٍ
مثل عروسة المولد، ومثل حصان المولد
من أثر التخزين، أو من أثر القضمِ
أتت واحدةٌ أحبُّها وتحبُّني
وهكذا.. قبَّلتني
قبلةً طويلةً طويلةً

فابتللتُ..
سِلْتُ على شفتيها عسلا
وانتهى
انتهى كلُّ شيء..

***

بالداخل..

لا كما تشتعلُ السكاكينُ في جسدٍ وحيدٍ وأعزل
ولكن مثلما يكون غرضُ سكينٍ
أن تنزع قطعةً سوداءَ من قلب مريضٍ
فتنكسر هي بالداخل..

***

مقبرةُ الفراشات

منذ سنواتٍ بعيدة
ابتلعتُ فراشةً وأنا أغني
فراشةً طارت إلى حنجرتي، كما تفعل الفراشاتُ باتجاه النارِ
ليسَ صوتي جميلا، ولا أعرف ما الذي جذبَها
حاولتُ لفظَها كما فعلَ الحوتُ بيُونُسَ،
زرعت لها على سور نافذتي يقطينًا،
وسرّبتُ لها الدعاءَ المناسبَ
لكنها لم تخرج..
الآن تقفُ الفراشات على أنفي
وعلى رأسي و يدي وكتفيَّ فجأةً..
لستُ جديرًا بمحبتهم،
ولا نورانيًّا بما يدفعهم للوقوف على جسدي مطمئنين
إنهم يزورون أُخَتَهُم التي تسكنُ وحيدةً في الداخل..
أنا شاهد قبرها، أنا قبرُ فراشةٍ
مرّت ذاتَ غناءٍ من هنا، وأغرتها حنجرتي بسُكْنَاي..
سارتْ إلى داخلي، ولم تخشَ الوَحدة

إنها تناديهم فيُلَبُّونَ النداءَ:
يا كلَّ فراشةٍ تمرُّ من هنا، إنني في الداخلِ، وحيدةً أسكنُ،
وقُربُكم يؤنسني
يا أخواتي إذا غنّى هذا الرجلُ فأسرعوا إلى حنجرته،
إنها مزمار صالحٌ للسُكنى،
إن لم تستطيعوا، فامكثوا قليلا بالقرب مِنَّا؛ فأنا وهو وحيدان
وحيدانِ جدا..

***

الغرفة الثالثة

ليموت هكذا بالصدفة أيضا

الوفاء..
ماذا يعني الوفاء؟!
كلما ذُكرَ ذلك الشيء الغريب
أرى بطريقًا
وقد أصابه أحدُ صيادي الدببة بطلق ناريٍّ خطأً
وهو يكافح كل المكافحة
في أن يزحف...
لا يدري ناحية ماذا يزحف

لا يدري أن ما يسيل من دمه كان من الممكن أن يحييه لوقت أطول
يجهد نفسه بشكل كلاسيكي..
ليبدو أحد أبطال هذا البياض الممتد..

ربما وبالصدفة أيضا
كانت هناك في البعيد نافذةٌ لبنت جميلة
ستدمع عيناها - وقد لا تنام هذه الليلة -
إذا رأت خيطًا من الدماء يكسو البياض الفسيح

ستفترض لتزداد وجعا - هي تحتاجه -
أن البطريق.. أنثى.. يا حرام!
والبطريق الأنثى تحتاج أن تلقي نظرة وداعٍ
على صغارها البطاريق !
هي لا تعرف أن البطريق الأنثى
تناسلت مع أبنائها عشرات المرات
وقاتلوها على الطعام.. وتقاتلوا على الذي سيَنَام معها أولا!

لا تعرف أن الجريح - يا حرام أيضا! - بطريق ذَكَر
بائسٌ وتعيس
والرصاصة أصابته بالصدفة
وهو..
بحثا عمّا يجعله يصدق نفسه
يزحف ويزحف
ليموت هكذا
بالصدفة أيضا
وبلا ثمن..

***

صلاة..

يا سيدي النوم، يا سيدي العظيم، يا واهبَ الأحلامِ الفسيحة، ومالكَ أبوابِها المُوَشَّاة، تفردُهَا على كتفيكَ أرديةً مُلَوَّنَةً، وجلودَ نمورٍ وغزلان وثعالب، تهبُ لمنْ تشاءُ طمأنينةً وبُشْرَى، وتهبُ لمن تشاءُ فزعًا وهلاوسَ، تسلبُ الجميعَ قواهم حينما يدخلونَ إلى ملكوتكَ، تختبئُ للمشتاقينَ - رحمةً منكَ - في الأقراصِ المنوِّمَةِ، وللمفجوعينَ في الكحولياتِ المركّزة، على رؤوسِ المتخمينَ بالطعامِ تُحَوِّمُ، ولا تهبُ طرقاتِكَ ومداخلَكَ للجوعى، ولا المُتَيَّمِينَ بحبيباتِهم، ولا المديونينَ، ولا المرضى، لا يدخلكَ إلا الذين امتلأتْ بطونُهم، وناموا عن حبيباتِهم هادئي البال، غيرَ عابئينَ بغد..

يا سيدي العظيم، لماذا لا تأتيني إلا نهارًا؟ حيث يهرعُ الناسُ إلى أشغالِهم، بينما يفوتني جلالُ النهارِ الفسيح، وأركنُ وحيدًا وحيدًا إلى فراشي، لألقاك وقد نهضَ عن طرقاتِكَ وحجراتِكَ ومداخلِكَ كلُّ بَنِيكَ، وحيدًا تلقاني يا سيدي، وأنا أكرهُ الوَحْدةَ، أنا أفعلُ كلَّ ما ينبغي لمحبٍّ لك، راغبٍ في مؤانسَتِكَ وحضوركَ، خفّضتُ فناجينَ القهوةِ لفنجانٍ

واحدٍ، فنجانٍ واحدٍ لخاطرِ عيونكَ يا حبيبي، مشيتُ ما يزيد عن الخمسة عشر كيلو مترا هذه الليلةَ؛ حتى ألقاكَ متعبًا ومستسلمًا كما تحبُّ لعشّاقِكَ أن يكونوا، أكلتُ عسلا وجبنًا وفطيرًا، أكلتُ فوق طاقتي؛ لينسحب الدمُ إلى معدتي، فتدخل إلى الرأس مطمئنًا وبلا جهد، ثم أنت لا تأتي! وها قد بحثتُ عنكَ في قرصٍ ورديٍّ ابتلعتُه متوسلًا، وأنتَ لا تأتي.. لماذا يا وليَّ عهدِ السيدِ الكبير؟ لماذا؟ بإمكاني أن أبتلع بقيةَ الشريط، وقد قتلني الشوقُ إلى السكينة، فأشكوكَ عندما يأتي الصباح، إلى أبيكَ، الذي سأكون حتمًا محمولًا على يديه، بعدها بقليل..

***

لابد أنها تفنى..

لا أؤمنُ بالحبِّ
أؤمِنُ بالخسارةِ
بالانهزامِ
والنسيانِ..
بالعرباتِ التي تنقلبُ فجأةً في الطريقِ إلى المصيفِ
وبالعُودِ الذي يكسرُهُ صاحبُ المحلِّ على رأسِ عَازِفِهِ
لأنَّهُ يزعجُ الراقصةَ..
بالمسجدِ الذي ينهارُ على رأسِ المصلِّينَ عشيّةَ القَصْفِ
وبالقططِ المدهوسَةِ تحتَ إطاراتِ السياراتِ
وهي تعبرُ الطريقَ إلى وليفِها أو صغارِها الرضَّع..
أؤمِنُ بكلِّ هذَا
وأومنُ بي وأنا أشربُ أطنانا من المنوِّمِ في الحلمِ وقبلَهُ وبعدَهُ
ومع ذلكَ لا أموتُ..
وأسمعُ كلَّ الأغاني الحلوةِ ومع ذلك لا أنساكِ..
أومنُ بكِ وأنتِ تنسحبينَ من المشهدِ
كأنكِ السهمُ الذي انغرسَ

ووجبَ الآن سحبُهُ؛
حتى يموتَ القتيلُ بكميةٍ أكبر من الهواءِ تملأ أحشاءَهُ فجأةً
أومنُ بالثلجِ الذي يذوبُ
والشمسِ التي تَصْهَرُ
وبالذكرى التي تَفْنَى
لابدَّ أنَّهَا تَفْنَى..

***

من براجِ سقفِ الغرفة..

صار يتخلصُ من أصدقائه
ببرودِ قاتلٍ مُحْتَرِفٍ
وبغضبِ مَنِ اغتصبَهُ عاملو الملجأ
فانتفخ قلبُه كالجُرْن
بحبوبٍ سوداء لامعةٍ
...
من هذه الحبوب
تأكل قصيدتُه كلَّ صباحٍ
وتنعقُ مثل غرابٍ عفيّ
ومن هذهِ الحبوبِ يعصرُ شرابَهُ
ويسكرُ عشيّةَ كل إبادةٍ جماعية
ومن هذهِ الحبوبِ
ستنبتُ غدا في قلبِهِ
صوبةٌ..
لتُرى الكراهيةُ في غيرِ مواسِمِها
والضحكُ منثورًا مثل ملحٍ وأمواس حلاقةٍ

في جراح مُحبيه
وليستطيل - يوما بعد يوم -
حبلٌ ستستقرُ فيه رأسُهُ
متدليّا يوما ما..
من براجِ سقفِ الغرفة

***

لم أعد أخاف

أنا كبرتُ
ولم أعد أخاف
حينما تختبئين في غيمة
وبدبوس صَدِئ
تخرمين بالونتي التي أنزل بها
في رحلتي اليومية
من الأفلاك
إلى شقتي..

أنا لن أموت من الفزع
أو السقوط فجأة
الذي لا تعلمينه أن الله ينتظرني في الأسفل أيضا

لم أعد أخاف أيضا من الجواري اللواتي
تحولينهن إلى قرود وأشباح
في أحلامي الهامدة..

ولا من مكوثك كالقنفذ
بين الأشجار
التي تخرج من حناجر أصدقائي
إذا قالوا كيف حالك؟

ولا من النار التي تخرج من ملابسك
وأحذيتك وآثار لمساتك على جبيني

أنا لم أعد أخاف..

سوى من الأماكن والذكريات والغناء
وصابون التنظيف
الذي تبرقين في فقاعاته
شمسا حارقة
تفسد المزارع
وتلسع الفقراء
في شغاف قلوبهم
قلوبهم التي كانوا يظنون عادةً
أنها.. لم تعد تخاف

***

الغرفة الرابعة

شكرا لك يا الله

شكرا لك يا الله الذي يرزقني
بما يضمن لي
أن أدفع حساب مكانين في الميكروباص
فأحتفظ بمجالي الحيوي
لطيفًا
وملائمًا
ومهيّأً للبكاءِ
في أي وقت

شكرا لك يا الذي تعلّمني
أن أتخلّص من أشخاص لا أريدهم
ومع ذلك أعرف كيف أنام
دون التفكير في أحزانهم
التي لا تنتهي..

شكرا لك لأنك تجعلني أضحكُ
أضحكُ من قلبي..
الذي انشطرَ إلى نصفين..
منذ آخر سهامك التي أرسلتها إليه..

شكرا لأنك
تجعلني أبوح هكذا وعلى الملأ
بما يظنونه أدبًا
وأنا الذي أكتم ما أكتم
حتى أفضحه بهذه الطريقة
كما يطلق طفلٌ خبزَه في الهواء
حتى يبردَ.. ولا يحرق شفتيه

شكرا لأنك تحبني
وتزورني في أحلامي
بما أحب..
كمن يحمل تفاحًا أحمرَ
في زيارتِهِ
لذي الساق المبتورة

شكرا لأطفالك الذي صاروا يناغونني
ويتعرفون عليَّ سريعا
ولِفَرَاشَاتِكَ التي صارتْ تظهرُ لي
وتؤنسني.. حيةً وميّتة
ولِيَدِك التي صافحتُها
حينما صافحتُ يدَ حبيبةٍ
لا تعرف اسمي بعدُ..

***

فجأة..

يرتّب نفسه..
كمن يبني هرمًا كبيرًا من قطع الدومينو
طفلة كهذه
لا تفهم أن عمّها الهرمَ الكبير
يمكن أن تهدّه وردة حمراء
إذا ضحكت إلى جواره فجأة..

***

واضحًا كأول الطريق

أضحكُ في الليل..
كأنّ النهار
لم يكن ذئبًا مروّعًا
و لم أكن أنا ظبيا كسيحا..
نسيه القطيعُ..
واضحًا
كأوّل الطريق..

***

رقصة

العالم كان يشي بالرقص هذه الليلة،
يشي به،
كما تشي وسامةُ ثلاثينيّ لشفتي عِشْرِينِيّةٍ
بطعمِ قبلةٍ..
طويلةٍ وعاصفة..!

***

في النجوى مُتَّسَع..

في الطريق يا محمدُ
تجلسُ بلادٌ
تنتعلُ قلوبَ أصحَابِهَا
والغربةُ جرحُ رجلٍ حافٍ
قلبُه لا يزالُ في يديهِ وشمًا ناتِئًا ينزفُ

في الطريق..
تقفُ وحدَك يا محمدُ
الأعرابُ يسيرونُ.. وأنت دونهم
تفردُ المظلّةَ وتغني للغيمةِ
تقول للذي استأثرَ بالمناجاةِ
واتسعَ لهُ السندسُ الأخضرُ:
أفسحْ لإخوتِكَ؛ هُمُ عصافير أيضا
ولا ألسنةَ لقلوبهم..
في النجوى متسعٌ
للعابرين بقلوبٍ حَرَّى

ودموعٍ لم يجفِّفْها النأيُ

..

وللذي لفَّ شالَ البنتِ القطيفة حول قَلْبِهِ تقولُ:

هذا الذي لا أملكُ

ومنه أصنعُ دُمًى

تلهو بها عائشةُ وتضحكُ..

وعلى قلبِ عائشة تنبتُ المناطيدُ

وتغني الجذوعُ

للذين لا بيوتَ لهم

ولا معاولَ..

لا أسرار فيحفرونها على نحاسِ المصابيح

ولا حواديت فتؤنس الصبايا اللواتي

فيهنَّ البحرُ يضحكُ

على قلبِ عائشة.. نمدُّ مناديلَنا

لأنَّا..

هناكَ سنراك..

***

لأنك في قلبي.. في قلبي يا حبيبي

عيناي أمنحُهمَا لبنتٍ

لا تعرفُ كيفَ تنظرُ لحبيبِها نظرةً

خفيضةً مثل ماءِ النبعِ

ماكرةً مثلَ دلالِ القُبَّرَاتِ..

كفّايَ أمْنَحُهما لعاملِ بناءٍ خشنتْ كَفَّاهُ

ووهنَتَا من حَمْلِ الحجارةِ والأسمنتِ

خُذْهُما.. حتى تمسَّ وجنتي امرأتِكَ آخرَ الليلِ بنعومةٍ

وهما قويَّتَانِ أيضا..

فاحمِلْ بهما آخرَ اليومِ، إلى الدارِ، بطيخةً كبيرةً.. وأمنياتٍ كافيةً

لم أستعملْهُما في كثيرٍ من الشِّجَارِ..

فقط في الكتابةِ التي لم تكنْ بحاجةٍ كاملةٍ لَهُمَا

قدمايَ لِعَدّاءٍ..أو متسللٍ بلا دارٍ..أمنحُهُمَا

ولساني لضعيفٍ لا يعرفُ كيف يجعلُ امرأةً تحبُّهُ

ظهري لمسجونٍ تسلَّخ ظَهْرُهُ وكَسَتْهُ التواريخُ..

رقبتي لبرجِ حمامٍ

وحنجرتي لمذياعِ العجوزِ الوحيدةِ

سأفكُّكُ جسدي وأتخلَّى عنهُ شيئًا فشيئا

سأمنحَهُ حياةً هو جديرٌ بها

أمّا قَلْبِي..

فلا أعرفُ ماذا سأفعل بهِ

ربما طرزته في سحابةٍ

تكبرُ وتكبرُ

وتمطر فتملأ البحارَ والأنهارَ

و الجميع من الماءِ يشربون

ربما نثرتُه في الريحِ

فجابَ الأنفاسَ

وتمشّى في النياتِ وربّتَ قلوبَها

ربما جعلتُه حرفًا وحرفينِ وثلاثةً

وطرزته في دعوةٍ أدعوها

وأحفّظها للملائكة صباحًا

بها يدعون ويُسَبِّحُون، وفي الناسِ تسيرُ

فلا تنتهي

هكذا بقلبي أفعلُ

لأنك في قلبي

في قلبي يا حبيبي

***

قُبْلَة

قُبْلَةً يا ربُّ
كنتَ جعلتَنِي قُبْلَةً
يشتاقُها اثنانِ
يتمشيانِ فيها
ويحمدانِ للوقتِ والصفاءِ..
أن جعلاها ممكنةً لحظةً ما
ثم يتذكرانِ أنَّها أجملُ ما حدثَ لهما
وللعالم..

***

الغرفة الخامسة

أخاف أن أقتلَ النمل الآن..

في وقت بعيد.. كنت أقتل النملة وأقول: ربما أقدَمَتْ على إيذائنا بعد قليل.. ربَّمَا أكلَتْ قطعةَ سُكَّرٍ كنّا سنحتاجُها.. ربَّما عَلِقَتْ بياقةِ قميصي وعضَّتْنِي في رقبتي.. هي مؤذيةٌ باحتمالاتٍ كثيرةٍ؛ ولذا وجبَ قتلُها..

في وقت أقرب، كنت أقتلُها وأقول: لأنها أختي في الحياةِ.. بالتأكيدِ هي في حاجة ماسَّةٍ للخلاص، هي تتألم لأنها تجوعُ، وهي تتألمُ لأنها تقطعُ مسافاتٍ طويلةً؛ باحثةً عن مكانٍ مناسب، أو شيءٍ تسدُّ به جوعَها، فلا تجدُ، أو بحثًا عن أهلها وأحبابها الذين يسكنون الجُحْرَ البعيد، لتجدَه قد هُدِمَ على رءوسهم، فتمكثُ حزينةً بائسةً، أنا أخلِّصُهَا من كلِّ هذه الاحتمالاتِ المؤلمةِ، بالقتل؛ أنا رحيم بها..

الآن، أتأمَّل النملةَ وهي تقطعُ عشراتِ البلاطاتِ وأقول: يا ربُّ لا تجعلني أضغط عليها من غير قصد؛ أخشى أن يموتَ شيءٌ بسببي يا رب، أنا لن أقلتها حتى لو تأكّد لديّ أنها ستأكلُ السُكَّرَ، لتأكل إذن، بإمكاني أن أصنع فنجانَ قهوتي بسكّرٍ أقلّ؛ حتى تشبع أسرةٌ من النمل الطيّب، ويناموا مبسوطين، بإمكاني أن أشربَ قهوتي بلا سكّر

أصلا، بإمكاني شراء كيسٍ كاملٍ كلَّ أسبوعين، أخصِّصُهُ للنمل، أضعه له قربَ جحوره، يأكل النملُ وينبسط فأنبسط.. لن أقتل النملةَ يا رب؛ ربما في آخر صفوف بلاطات الحَمَّام، يجلس حبيبُها ذَكَرُ النملِ في انتظارِ عودتِهَا مبتهجًا متشوِّقا، أو ربما ابنها أو ابنتها، أو هي نملة تحبُّ الرحلة.. تسعدُ بالغناء إلى أن تصلَ.. أو هي لا تريد أن تصل.. هي مريضةٌ بالاكتئاب مثلي، وتفعل كما أفعلُ حينما لا أجد من أكلِّمُه؛ تسيرُ في الشوارعِ وتبكي.. لهذه الاحتمالات، ولغيرها؛ أنا أخافُ أن أقتل النملَ الآنَ..

***

الكون كله..

(١)

في وقتٍ سابقٍ.. إحدى الصديقاتِ قالتْ إنَّها تسيرُ في الشوارعِ والسمَّاعَات في أذنيها تملأهما الأغاني الصاخبة؛ حاجزا دونِ تعليقاتِ المارّةِ.. تلك التي تخدشُ غُزلانها الغافية.. أنا أفعلُ هذا الآنَ أيضًا.. أسيرُ في الشوارعِ.. أركبُ السيارات..والسماعاتُ في أذنيَّ.. لكن بلا أغنياتٍ وبلا صخبٍ.. فقط كيلا أسمعَ العالمَ بضجيجِهِ المؤلِمِ.. بل لأسمعَ روحَهُ كأرأفِ ما تكونُ.. صوتًا وحيدًا في داخلي، داخلي هو الكونُ كلُّه..

***

(٢)

أنا الوجود كلُّهُ
وأنتِ قمرٌ بارزٌ في ليالي الكهف
أنا الكهف.. وأنت النقش المطمئن الوديعُ في عمقه الذي يخاف الوحدة..
أنا القطعان في البرية
وأنتِ الصائدُ والرحمةُ والطلقات،
أنا أنا.. وأنتِ الكلُّ يا حبيبتي
مُدِّي يديكِ لينطفأ المصباح
وأضيء من الداخل
لست أحتاج إلى مصابيح
لو أنتِ أشعلتِني وابتسمتِ
أو إلى صلواتٍ لو أنتِ ربّتِ على كتفي
ولا إلى حوريات لو أنتِ زرتِ المنامَ في لحظةٍ بكر
وقُدْتِني إلى مَلْمَس الآبار
الآبار التي تعرفينها..

***

(٣)

يبكي بعادَكِ، كيف لا يبكيهِ؟
فضّاحُ وَجْدِكِ.. ردَّهُ للتيهِ
غادَرْتِهِ للظلِّ غيرَ أسيفةٍ
وهو الهجيرُ يموجُ مِنْهُ وفيهِ
حيرانَ بعدَكِ صانَ كلَّ سريرةٍ
حاشا الدموع تريقُ ما يخفيهِ..

***

(٤)

الظلامُ يستحقُ الحياةَ أيضا، أكونُ ممتنًا للظلامِ آمنًا فيه، تماما كامتناني للنورِ.. شَكْلُ عَيْنَيِ الثعبانِ ليس مخيفًا كما تظنُّ، عَضَّةٌ بائدةٌ لِرَجُلٍ دَامٍ من أبناءِ آدم الأولينَ جعلتْهُ يبكي ويرتعدُ كلما مرَّ إلى جوار ثعبانٍ له العينان نفسهما، طفلتُهُ التي امتلكتْ الألوانَ بعدها بآلافِ السنين، رسمتْ شبحًا، بعينين ثعبانيَّتَيْنِ، خِفْنَاهما.. ليستْ النارُ مخيفةً أيضًا، تذكَّر النارَ في الشتاءِ، ليستْ البِرَكُ سيئةً، تَذَكَّر الطحالبَ المطمئنة في البِرَكِ.. لستَ سيئًا لأنَّكَ تكذبُ، أنتَ أيضا كذبتَ يومًا لتحميَ لصَّةً جائعةً من أن يفتكَ بها بائعٌ غاضب، لستُ شرسًا يا حبيبتي، حتى لو كنتُ أغارُ وأغضبُ وأنتهركِ صارخًا حتى تذهبَ حنجرتي، ولا أنتِ سيئةً لأنكِ تريدينَ رقصَ التانجو معي في حلقةِ الذِّكْرِ.. أنا الذي أخفي تحت خدِّيَ الناعمِ لحيةً تمتدُّ إلى ركبتيّ.. لستِ سيئةً حتى لو طلبتِ أن نرقصَ الرقصةَ ذاتَها في محرابٍ له اتساعُ العالمِ، عراةً وسكارى.. سيشاهدُنَا المصلُّونَ الذين يخافونَ الموتَ.. سيبكونَ ويطمعونَ في جميلةٍ عاريةٍ مثلكِ، هناكَ في الجنة.. ليس شيءٌ سيئًا أبدًا، لا ينقضُ شيءٌ شيئًا، الكونُ كلُّه، أنت معي، الكونُ كلُّه..

***

(٥)

الناسُ القريبونَ، شجرُ الظلِّ في السفرِ الطويلِ، والطريقُ عارٍ إلا من شمسٍ محرقةٍ.. حفاةً نمشيهِ على رملٍ يغدرُ لهيبُه بالواثقِ المطمئنِ..

على المقهى كان الصُّمُّ جالسين في سحابةٍ.. يتبادلونَ الونسَ بالإشاراتِ والضحكِ، والستُّ في الأعَالِي تغنِّي" مخلّاش الفراق فيّا.. مخلّاش الفراق فيَّا" تلاشيتُ على إثرِها مثلَ عودِ ثقابٍ ينطفئ من غيرِ أنْ يشعلَ شيئًا، فقط يشتعل، وينطفئُ حزينًا، تمايلتُ ألمًا، فانتبه الأصَمُّ وأشار سائلا عن العلّة، خشيتُ أن أشير أني طَرِبٌ لما أسمع، محترقٌ به، فيتألم، لأنه لا يجدُ ما يسمعُه فيحترقُ له، خشيتُ أنْ يحترقَ، فأشرت بكفّيَّ إلى الكونِ كلهِ..فَفَهِمَ وابتسم !

***

مثل سيّدٍ في حقله

أنا أمشي فِيَّ الآنَ

مثلَ سيدٍ في حقلِهِ

سيدٍ باعَ كلَّ الأراضي المجاورةِ

كلَّ الأراضي البعيدةِ

وتلكَ التي تبعدُ بمرورِ الوقتِ

أَطْلَقَ سراحَ الجواري والعبيد

وامتنعَ عن الزياراتِ العائليّةِ

أمشي فِيّ.. وأشتمُّ رائحةَ شجرِ التينِ

أنصحُ الديدانَ على الورقِ الأخضرِ بالسكينةِ

وأتابعُ اصفرارَ القمحِ الذي يزدانُ مع الوقتِ

أشتَمُّ رائحةَ اللبنِ في ثديِ البقرةِ

والجوعَ في فراءِ القطِّ

والبدرَ في عواء الكلب

أمشي فِيَّ وأمشي

سيدًا في حقلِهِ الذي ينمو

حقلِهِ الذي صارَ ملكَهُ

ملكَهُ هو فقط..

***

سيرة ذاتية

*الضوي محمد الضوي

*من مواليد: مصر - الأقصر، في ١٣ /٤ / ١٩٨٩

*شاعر وكاتب.

*مدرس مساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة المنيا.

***الجوائز والتكريمات:**

١ - جائزة الشاعر السعودي عبد الله باشرحيل للثقافة والإبداع ٢٠٠٩.

٢ - جائزة هيئة قصور الثقافة عن ديوانه الأول (وربما أكثر) ٢٠١٠.

٣ - جائزة ملتقى الشارقة للشعراء الشباب ٢٠١٠.

٤ - جائزة بهاء طاهر الأدبية عن اتحاد كتاب مصر ٢٠١٣.

٥ - جائزة الشارقة للإبداع العربي، عن مسرحيته الشعرية (في حضرة الحيرة) المركز الأول ٢٠١٤.

***صدر له:**

١ - وربَّما أكثر (ديوان شعر) عن دار المحروسة بالتعاون مع مركز عماد قطري للإبداع ٢٠١٢.

٢ - في حضرةِ الحيْرَة (مسرحية شعرية)عن دائرة الثقافة والإعلام - جائزة الشارقة ٢٠١٤.

٣ - على باب غرفتك المستعارة (ديوان شعر) عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٥.

٤ - إثرَ بلطةٍ في القلب (ديوان شعر) عن الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٦.

للاتصال:

بريد إلكتروني: Dowy89@yahoo.com

فهرس المحتويات

هكذا تكلمتُ ٧
الشاردة ٩

الغرفة الأولى:
هل يعجبكِ ما أكتب..؟ ١٣
أنتِ الطريق.. ..... ١٤
تصنعين له كوفيَّة ١٥
عامل المحجر.. ..... ١٩
على كتفيكِ ينام.. ..... ٢٠
ابتهجي أرجوكِ.. ..... ٢٢
حتى لو كانت حلوة ٢٤
لا ألوان في غيابكِ.. ..... ٢٦

الغرفة الثانية:
لا تسرف في متابعة الألوان.. ..... ٣١
لا أعرف.. ..... ٣٣
يغلقون عليه الجُحْرَ وينامون ٣٤

أثق بنفسي ٣٥
ماذا إذن ؟! ٣٦
لأطمئنَّ.. ..... ٣٧
عضَّهُ في قلبه.. ..... ٣٨
القبح.. ..... ٣٩
إلى القلب.. ..... ٤٠
سببا يجعل الرقصة أجمل ؟! ٤١
«تُذْكُرْ آخِرْ مَرَّة» ٤٢
مرور السيارات على أصابع الرُّضّع.. ..... ٤٤
بلا وجهة.. ..... ٤٦
يصف ألمَ روحهِ ٤٨
أبٌ لكتابين ٥٠
ثقيلٌ أكثر مما يظن.. ..... ٥٢
دون أن أغلق الباب ورائي ٥٥
تمثال السُّكّر.. ..... ٥٦
بالداخل.. ..... ٥٩
مقبرةُ الفراشات ٦٠

الغرفة الثالثة:

ليموت هكذا بالصدفة أيضا ٦٥
صلاة.. ..... ٦٧
لا بد أنها تفنى.. ..... ٦٩
من براحِ سقفِ الغرفة.. ..... ٧١
لم أعد أخاف ٧٣

الغرفة الرابعة:

شكرا لك يا الله ٧٧
فجأة.. ..... ٨٠
واضحًا كأول الطريق ٨١
رقصة ٨٢
في النجوى مُتَّسَع.. ..... ٨٣
لأنك في قلبي.. في قلبي يا حبيبي ٨٥
قُبْلَة ٨٨

الغرفة الخامسة:

أخاف أن أقتلَ النمل الآن.. ..... ٩١
الكون كله.. ..... ٩٣
مثل سيّدٍ في حقله ٩٨
سيرة ذاتية ١٠٠